مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17 العدد 02 السنة 2021/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

التحول الديني في إفريقيا في ضوء دراسة أنثروبولوجية

Religious transformation in Africa in light of an anthropological study

خيذر جميلة*

جامعة مولود معمري – تيزي وزو

djamila.docdorat@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/ 02/26 تاريخ القبول: 2021 /04/03

ملخص:

سعت هذه الورقة البحثية إلى عرض وتحليل دراسة حول ظاهرة التحول الديني في إفريقيا، وبتعلق الأمر تحديدا بدراسة محمد عبد الوهاب عبد الوالي، الموسومة بـ "التحول الديني عند قبائل الإيبو بنيجيريا: دراسةأنثروبولوجية"، التي تعرض فيها الباحث إلى قبائل الإيبو وديانتهم التقليدية، وظاهرة التبشير الديني الأوروبي المسيحي في تلك البلاد، وطبيعة التحول الديني من الدين الوثني التقليدي إلى المسيحية.

الكلمات الدالة: قبائل الإيبو–التحول الديني– التبشير الديني–الدين التقليدي– الأنثروبولوجيا الدينية.

Abstract :

This research paper sought to present and analyse a study on the phenomenon of religious conversion in Africa, specifically with regard to the study of Mohamed Abdel Wahab Abdel Wali, known as "Religious conversion in the Igbo tribes of Nigeria: an anthropological study ", in which the scholar was exposed to the Igbu tribes and their traditional religion, the phenomenon of Christian Aruban religious evangelism in that country, and the nature of the religious transition from traditional pagan religion to Christianity.

Keywords: Igbo tribes - religious conversion - proselytizing - traditional religion - religious anthropology.

* **المؤلف المرسل**: خيذر جميلة، **الايميل**: djamila.docdorat@yahoo.fr

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مقدمة

عندما نتأمل في واقع البلدان الإفريقية، سنجد التيار العام الذي يؤطر أغلبية السكان في هذه القارة هو بلا جدال التيار الديني. وعند التأمل في مجمل التجارب السوسيو تاريخية التي مرت بها علاقة الدين بهذه المجتمعات (...) نجد أنّه وقعت تحوّلات وتغيّرات وانزياحات كثيرة ومتعددة؛ فالدين رغم أنّه بقي محافظاً على مكانته في البنيات الثقافية للمجتمع، فإنّ طريقة تمثّله وممارسته ومعايشته تقلّبت عبر ممارسات معقدة جدّاً في الآن نفسه، أو ما يمكن أنْ نطلق عليه "إعادة تعريف الدين في العالم المعاصر"(جرموني، 2019، ص11).

إن مسألة تغيير المعتقد الديني من دين إلى آخر أو من مذهب ديني إلى آخر، والتي تحوَّلت إلى ظاهرة عالمية، بفضل الديموقراطية، والاعتراف المتزايد بحرية المعتقد، قد يكون لها تبعات خطيرة على بعض المجتمعات من حيث استقرارها خاصة، إذا تبعت هذه الحرية ممارسة الجانب التطبيقي لهذه الحرية، ألا وهو ممارسة الشعائر الدينية لكل معتقد.

ونود الإشارة في هذا السياق إلى إحدى الدراسات الأنتروبولوجية التي تناولت هذه الظاهرة، والموسومة بـ"**التحول الديني عندقبائل الإيبوبنيجريا: دراسة أنثروبولوجية**"، للباحث محمد عبد الوهاب عبد الوالي، الصادرة عن دار أسرار الإسبوع في عام 2016.ولقد سعى المؤلف من خلالها إلى تسليط الضوء على آليات التحول من الدين التقليدي إلى المسيحية، وتوصل في الأخير إلى أن التحول الديني لغالبية أفراد مجتمع الإيبو لا يرتكز على فهم واضح وصحيح لطبيعة الديانة المسيحية، وهذا ما أدى إلى أزمة هوية حقيقية تعيشها هذه القبائل.

أولا: قبائل الإيبو وديانتهم التقليدية

لقد استهلّ الباحث كتابه هذا بمقدمة، نبه فيها إلى أنه لا توجد نظرية أنثروبولوجية واحدة للدين متفق عليها، ثم حدد بعض الأسباب التي دفعته إلى اختيار موضوع الدراسة في مجتمع الإيبو، والذي يمثل ثاني أكبر جماعة إثنية في نيجريا بعد الهوسا، ولقد خصص المؤلف **الفصل الأول** لـ"**مفهوم الدين – وظيفته –أشكاله**"، حيث أشار إلى أن مفهوم الدين أثار من حيث معناه خلافات عدة، ووجهات نظر متباينة ممن تناولوه بالدراسة والتحليل، لدرجة أن البعض مثل "جيمس لوبا"، "روبرت الويد" و" محمد عبده دراز" أكدوا صعوبة الوصول إلى تعريف محدد ومعقول لهذا المفهوم. ورغم كل هذا التنوع

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

والاختلاف، نبه الكاتب إلى أن "سامية الخشاب" أشارت إلى أن هناك شبه إجماع من جانب العلماء على إمكانية جمع تعريفات الدين وتقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسة، هي:

1 -التعريف الجوهري للدين: هناك من يرى الإعتقاد هو جوهر الدين، وهناك من يعتبر الإيمان هو الذي يمثل هذا الجوهر، في حين يرى آخرون أن تحديد المقدس والعلماني هو تحديد لجوهر الدين.

2 -التعريف الوظيفي للدين: ويرتكز على ما يقوم به الدين من وظائف وأدوار لمعتنقيه، غير مهتم إلى حد ما بالجوانب الجوهرية من اعتقاد وايمان...الخ.

3 -التعريف الرمزي للدين: ويعتمد هذا النمط من التعريفات على ما يحتويه الدين من رموز يمكن ملاحظتها مثل المصحف، الصليب، السجود، الركوع، التقبيل...الخ.

وبناءعليه، يمكننا القول، أن التعريفات السابقة كانت متباينة، لكن عموما توجد عوامل مشتركة بين الأديان خاصة السماوية، وهي الإيمان بقوة أكبر أو الله، والايمان بالملائكة، والرسل، واليوم الآخر، والحساب بعقاب الكافرين وثواب المؤمنين، والدعوة إلى الخير والابتعاد عن الشر، والالتزام بالقيم والأخلاق الحميدة ونبذ الرذيلة والمنكر (بلحاج، 2012، ص15).

ومن جانب آخر، تطرق المؤلف إلى وظيفة الدين، وفي هذا الصدد أشار إلى أن "دوركايم" ركز على الجوانب الاجتماعية التي يلعبها الدين في حياة الشعوب، وركز "مالينوفسكي" و"أودي" على الجوانب السيكولوجية لدور الدين في المجتمع.

ولقد ألمح الباحث إلى أن دور الدين في المجتمع يتجاوز كلا من الوظيفتين معا لدرجة أنه من غير المستطاع تقديم قائمة عامة بوظائف الدين، لأن هذه الوظائف تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن دين إلى آخر، لكن يمكن الإشارة إلى بعض الوظائف الأساسية التي من المفترض أن لا يخلو منها أي دين في أي مجتمع. وتتمثل هذه الوظائف في الوظائف التفسيرية (تفسير طبيعة الحياة بعد الموت، أو أصل الإنسان قبل الميلاد...إلخ)، الوظائف الأخلاقية (تزويد المجتمع بالقيم والمعايير التي تشكل اتجاهات أعضاء المجتمع)، الوظيفة التكيفية "التوافقية" (توفر للإنسان وضعا يتسم بالانفتاح وتجاوز الوضع الراهن، وتوفر قاعدة وجدانية لإعادة الأمن وتأكيد الهوية من خلال العبادة والطقوس...إلخ)، ويؤدي الدين مجموعة من الوظائف الانتمائية والذاتية، إذ يحدد إدراك الناس بطبيعتهم منهم. كما أن الدين يمنح الإنسان الشعور بالانتماء إلى الماضي البعيد وإلى المستقبل اللامتناهي، كما يعطي الأفراد الإحساس بذاتيتهم.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

كما تناول المؤلف في الفصل الأول أشكال الدين، حيث قام بتصنيف الأديان وفق معايير الاعتقاد، خاصة الإعتقاد المرتبط بالألوهية أو القوى العليا المتحكمة في الإنسان مثل الفيتشية، الطوطمية، الديانات الثنائية، الديانات المرتبطة بالكون، والديانات التي تتوجه لعبادة الله والآلهة.

أما **الفصل الثاني**، فقد خصصه الباحث **لقبائل الإيبو ذاتها**، التي تعد من بين المجموعات الاثنية الرئيسية في نيجيريا، إذ يتمركزون في إقليم الجنوب الشرقي من نيجيريا وهم من الزنوج الخالصين (زواوي،2014، ص82).

لم يكن لهم تاريخ مذكور ولا ماض معروف في كتب الثقافة العربية، وإنما كانوا بمثابة القبائل البدائية، مثلهم في ذلك مثل أهالي جنوب السودان وجدهم الإنكليز بدون ثقافة، ولا دين فصبغوهم بأفكارهم، وقد أقبلوا على الثقافة الغربية، وتعلموا في مدارس المبشرين المسيحين حتى كانت نسبة المتعلمين منهم تعليما عصريا عند الاستقلال أعلى منها في أي قبيلة أخرى في نيجريا. فتسلموا لهذا السبب نسبة أكبر من المناصب العليا في الجيش والإدارة، وظنوا أنهم قادرون بذلك على السيطرة على نيجريا كلها أو على الأقل الإنفصال عنها والإستقلال ببلادهم.

وكانت قبائل الإيبو جماعات فطرية إلى عهد غير بعيد وإنما استيقظت منذ قرن تقريبا. ومن طباعها سرعة الغضب والإستبسال والتمرد وحب الإستقلال. وكانت قبائل متفرقة لا تجمعها أي رابطة. (العبودي، 1995، ص.ص17،18).

وتعتبر قبيلة الإيبو القبيلة الثالثة من حيث العدد، بعد كل من الهوسا واليوروبا وتستقر هذه القبيلة في الجنوب الشرقي من نيجيريا، وتتميز بأنها مجتمع طبقي، لكل فرد فيها منزلة معينة، تحددها مكانته الاجتماعية، ويتركز بهذه المنطقة غالبية احتياطي النفط النيجيري. وقد ارتبط اسم قبيلة الإيبو بحرب بيافرا الانفصالية بين كل من قبيلتي الإيبو والهوسا والتي شنت بعد أن تم إعلان انفصال إقليم بيافرا الغني بالنفط (أحمد، د.ت، ص 266).

وتنقسم قبائل الإيبو إلى حوالي ثلاثين قبيلة أو تسع وستين عشيرة، أو ما يقرب من خمسمئة جماعة قروية كلها ذات حكم ذاتي محلي منفصل عن الجماعات الأخرى.وليس معنى ذلك أن هذه الوحدات منفصلة تمام الإنفصال فيما بينها، فهناك العديد من الروابط التي تجمع بين هذه القرى، مثل الروابط الاقتصادية، والتي تتمثل في عمليات التبادل السلعي في الأسواق، وروابط قرابية من خلال "الزواج

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الاكسوجامي" بشكل أساسي، والذي على أساسه لا يحق للفرد الزواج من داخل جماعته الاجتماعية أو جماعته المحلية (العائلة الممتدة، كل الاقارب، الوحدة المحلية التي ينتمي إليها الفرد، عائلة الأم)، وأي اختراق لتلك القواعد يعد بمثابة اختراق لقواعد التحريم، وتدخل ضمن نطاق الزنا بالمحارم. وليس معنى ذلك اختفاء "الزواج الاندوجامي" داخل قبيلة الإيبو، بل يوجد هذا النمط من الزواج لكنه قاصر على العبيد فقط. حيث تمنع معتقدات الإيبو زواج العبيد من الذين ولدوا أحرارا في أراضي الإيبو، لأن الإيبو يعتقدون في أن العبيد كرسوا أنفسهم وذريتهم للآلهة، والآلهة تغار على ملكيتها، ولا يصح أن يقترب أفراد الجماعة من أي شيء أو أي إنسان يخص الآلهة، ولو حدث وتجاهل أي حد هذه القاعدة من خلال عمل علاقة جنسية مع أحد أفراد طبقة العبيد يحكم عليه بالموت.

وبجانب الأنماط السابقة للزواج يوجد "الزواج التعددي"، بل ويعد هو النمط السائد في معظم أراضي الإيبو، وليس معنى هذا عدم وجود النمط "المانوجامي الأحادي" في قبيلة الأيبو. فالفتى يبدأ بزواج فتاة واحدة ثم يتزوج بأخريات كلما أتيح له ذلك، لأنه يعد رمزا لعلو المكانة الاجتماعية والاقتصادية في مجتمع الأيبو ، ويدل على القدرة المادية للرجل على الزواج أكثر من امرأة.ويوجد أيضا نمط "زواج المرأة بالمرأة"، فمجتمع الإيبو يسمح للمرأة أن تقوم بدور الزوج، حيث يمكن للمرأة أن تتزوج بأخرى بإعطائها مهرا، فتصير الأولى زوج وتصبح الثانية زوجة.

وخصص الباحث **الفصل الثالث**لـ"**الدين التقليدي عند قبائل الايبو**"، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدين التقليدي لدى قبائل الإيبو، قد إجتذب أنظار الباحثين، من أمثال "نوالا" الذي قسم الدين التقليدي عند الإيبو إلى خمسة أقسام هي:

1 –الإله الأعلى: يعتقد الإيبو في وجود إله أعلى خالق لهذا الكون يسمى شوكوا، ويعيش في ذلك الحيز الموجود بعد السماء، وهناك بعض الخصائص التي يوصف بها هذا الإله وتعكس في مجملها تصور الإيبو لهذا الاله، وفي ما يلي توضيح لبعض هذه الصفات:

* شوكوا القدير: لأنه هو الإله القوي والمتين ولا يوجد أي شيء يعجز عنه أو يصعب على قدرته. ويعتقد الإيبو في قدرة شوكوا على خلق هذا الكون بأكمله بما فيه من سماء وأرض وشمس ونجوم وقمر... إلخ.

* شوكوا العظيم: شوكوا ليس إلها قديرا فحسب، بل هو إله عظيم، ورفيع المنزلة، وعالي المكانة، ولا يحق مقارنته بأي شيء آخر، وهو ملك السماء والأرض والكون بأكمله.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

* شوكوا العليم: يعتقد الإيبو في أن شوكوا هو وحده الذي يعرف كل المعرفة ولا يخفي عليه أي شيء. ومن تم لا يستطيع حدوث أي شيء دون إرادته ومعرفته، فهو على علم بكل شيء قبل حدوثه وبعد حدوثه.

*شوكوا العادل: إن الحقيقة الإيمانية لدى الإيبو تقضي بأن شوكوا يعطي كل ذي حق حقه، ومن ثم يوجد الثواب والعقاب داخل معتقدات الإيبو.

* شوكوا المنعم: يؤكد الإيبو دائما على أن الفضل كله والنعم التي يعيشون فيها تعود في أصلها إلى شوكوا، الذي يعتبر مصدر العطاء والخير للإيبو.

* شوكوا الرحيم: وتظهر في كرمه وسخائه ونعمه التي لا تعد ولا تحصى على أبناء الإيبو، وفي هذا رحمة بهم وإشفاقا عليهم وعلى قدرتهم المحدودة.

*شوكوا الحفيظ: يعتقد الإيبو أن شوكوا بعد اتمامه لعملية الخلق استقر بعيدا ليرى مخلوقاته ويحيطهم برعايته ويحفظهم بقدرته.

2- الآلهة الطبيعية:

تحتوي المنظومة العقائدية عند الإيبو على بعض الآلهة الطبيعية، يختص كل منهم بأعمال فوضه فيها شوكوا للحفاظ على هذا الكون. وتوجد أربعة آلهة طبيعية في أرض الإيبو تتمثل في إله الشمس، وإله السماء، وإله الرعد والبرق، وإله الأرض.

*إله الشمس: يطلق الإيبو على إله الشمس اسم "أنيانوا " معتقدين أنه يمثل عيون شوكوا على مخلوقاته، ويوجد في كل مكان يوجد فيه الفرد أو يذهب إليه، وتتمثل مظاهر عبادة هذا الإله في وجود معابد صغيرة يعبد فيها، وتقدم له القرابين بداخلها من أجل مرضاته.

* إله السماء: تشير كلمة إيجو إلى إله السماء الذي يعتقد أنه "ابن شوكوا" ومتزوج من إله الأرض والتي يطلقون عليها اسم " ألا ALA". ويعتبر إيجو مصدر المطر في أرض الإيبو ووظيفته تتمثل في إخصاب الأرض عن طريق المطر. ويوجد لهذا الإله معابد صغيرة خاصة به يعبد فيها وتقدم له القرابين من خلال كهنة قائمين على خدمته.

* إله البرق والرعد: يطلق الإيبو على هذا الإله اسم أماديوها، لأن ظاهرتي البرق والرعد من بين الظواهر الطبيعية السائدة في المناطق الإستوائية التي تعيش قبائل الإيبو في محيطها. وفي اعتقاد الإيبو في أن

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أماديوها يمكن رؤيته من خلال البرق وسماع صوته من خلال الرعد. ويرتبط هذا الإله بالدمار والخراب في المعتقد الديني عند الأيبو، فالبرق قد يؤذي البصر والرعد يؤثر على السمع.

* إله الأرض: تشير كلمة " ألا ALA" في لغة الإيبو إلى الأرض، ذلك الكيان المادي الذي يحي عليه الإيبو، كما تشير الكلمة ذاتها إلى ذلك الكيان الروحي اللاهوتي المتمثل في إله الأرض التي تمنح الإيبو الخصوبة وتشعر بتواجدهم في كل لحظة وكل مكان وهم في حقولهم ومساكنهم...إلخ، وهذا له أثر كبير في كثرة المعابد الخاصة بهذه الآلهة في أراضي الإيبو وكثرة التماثيل المنحوتة لهذه الآلهة. وهي بالاشتراك مع أرواح الموتى من الأجداد مصدر التشريع والقضاء في شأن الأخلاق؛ فالقتل، وسرقة المحصول، والزنا، وولادة توئمين، أو ولادة مولود شاذ الخلقة، تعد إهانة لها، وباسم الأرض تشرع القوانين (ديشان، 2011، ص59).

3- الأرواح عند الإيبو:

إن الأرواح الموجودة في معتقدات الإيبو كثيرة ومتعددة منها الروح الإنسانية، الروح الحارسة أو "تشي" (وهي الروح الثانية للإنسان وتتكامل مع روحه الأولى في العالم الإنساني، ووظيفتها الأساسية حماية وحراسة صاحبها)، روح اليام، الأرواح الخيرة (روح الثروة)، الأرواح الشريرة (ترتبط بالأفراد الذين ماتوا وهم في سن صغيرة فأرواحهم ساخطة لأنهم لم يحققوا أحلامهم، أرواح تحرم الوالدين من الإنجاب من خلال الموت المتكرر لأطفالهم في رحم أمهاتهم) وبغرض درء الأذى واسترضاء الأرواح يقدم الإيبو القرابين لهذه الأرواح.

4-الأسلاف عند الإيبو:

وهم الأفراد الذين يجسدون عالم الأرواح وفي ذات الوقت فهم منحدرون من العالم الإنساني.ولذا ينظر الإيبو إلى أسلافهم على أنهم أعضاء مكملين غير مرئيين لعائلتهم، على الرغم من كونهم في العالم الآخر. حيث تعتبر عملية الحمل لدى المرأة عند الإيبو ماهي إلا تجسيد لجزء من روح السلف الموجودة في عالم الأرواح. وبمجرد ميلاد الطفل يقام معبد صغير خاص بروح السلف في منزل الأب، ثم تأخذ القرابين إلى قبور الموتى من الأسلاف وتقدم الصلوات والقرابين إليهم ويطلبون من السلف أن يتبعوهم إلى منزلهم. وفي المقابل يطلبون منهم الحماية والرعاية لأن الأسلاف تتمتع بالبركة وإنزالها على من تشاء، كما تستطيع إنزال العقاب والسخط على من تشاء من أبناء الإيبو.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

5-الطقوس الدينية:

ويدخل في تكوين الطقوس الدينية العديد من العناصر منها الإيقاع الموسيقي، والرقص وارتداء الأقنعة، وما يتبع ذلك من القيام ببعض العبادات الدينية المتمثلة في الصلوات والابتهالات وتقديم القرابين(القرابين ككفارة، القرابين كحماية من القوى الشريرة غير معروفة، القربان كشكر على العطاء).

6- رجل الدين التقليدي:

إن اهم شخصية دينية في حياة الإيبو هي شخصية الكاهن، وهو الزعيم الروحي عندهم، والكهنة عند الإيبو نمطان، هما: كهنة بالوراثة، وكهنة تختارهم الآلهة لخدمتها.

7- العرافون والسحرة عند الايبو:

الذين يقصدهم أفراد مجتمع الإيبو من أجل التنبؤ بالأمور الغيبية، أو من أجل السيطرة على الأرواح، أوطلبا للانسجام في الحياة.

ثانيا: حركة التبشير الديني المسيحي في أراضي الإيبو

وأما **الفصل الرابع** فعنونه الباحث بـ "**المسيحية وطبيعة الكنيسة في أراضي الإيبو**"، فذكر أن المسيحية دخلت أراضي الإيبو في منتصف القرن 19 تقريبا، وأصبحت الديانة الرئيسة لها بعد تخلي الكثيرين من أبناء الإيبو عن ديانتهم الوثنية الأولى. ولم تكن الكنائس في أراضي الإيبو على قدر كبير من التشابه، ويرجع ذلك إلى تنوع البعثات التبشيرية داخل أراضي الإيبو وظهور ما يسمى بالكنائس المستقلة بداخلها، ويمكن التمييز بين ثلاثة أنماط أساسية للكنائس في أراضي الإيبو وذلك على النحو التالي:

1- الكنائس الكاثوليكية: يعود الفضل في ظهورها في أراضي الإيبو إلى البعثة الكاثوليكية الرومانية التي دخلت هذه القبيلة سنة 1885 في مدينة أونتيشا.

2- الكنائس البروتستانتية: من أهم ما نادت به البروتستانتية أن تفسير الكتاب المقدس مباح لكل إنسان، وذلك على نقيض ما كانت تسير عليه الكنيسة الكاثوليكية التي قصرت حق تفسير الكتاب المقدس على رجال الكهنوت عندها.

ولا شك أن هذه الإنشقاقات والإختلافات كان لها أثرها على العملية التبشيرية في أراضي الإيبو، يضاف إلى ذلك أن الكتاب المقدس والذي يعد المصدر الأول للمرجعية المسيحية، تختلف النسخة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الكاثوليكية فيه عن النسخة البروتستانتية، كما تختلف الكاثوليكية عن البروتستانت في النظرة لمفهوم التبشير.

ولقد سعت كل طائفة من هذه الطوائف إلى استقطاب أتباع جدد من أفراد الإيبو عن طريق تقديم الخدمات الاجتماعية، والطبية، والتعليمية، وترتب على ذلك وجود نوع من التنافس بين البعثات التبشيرية ، كان من شأنها غرس بذور الشك في قلوب الراغبين في اعتناق ذلك الدين الجديد من أفراد الإيبو. كما أن اختلاف المبشرين فيما بينهم أضعف قواهم. ومن مظاهر هذا الضعف أن أصبح معظم الناس الآن في أراضي الإيبو أكثر اهتماما بما تستطيع الكنيسة تقديمه لهم،أكثر من اهتمامهم بما يستطيعون تقديمه للكنيسة، فأصبحت الجوانب المادية"المنفعة" هي الجانب الأهم في اعتناق أو عدم اعتناق المسيحية في أراضي الإيبو.

3- الكنائس المحلية:

لقد ظهرت كنائس مستقلة تعبر عن حركات التحرر في إفريقيا، وكان للإيبو نصيبا من هذه الكنائس المستقلة، وهي كنائس تركز معظمها على الصلاة دون الاهتمام بباقي عناصر الحياة المسيحية، وتهدف هذه الكنائس في الأساس إلى جعل المسيحية أكثر توافقا وموائمة مع الهوية الإثنية للإيبو.

وحاول الكاتب في **الفصل الخامس** إلقاء الضوء على "**البعثات التبشيرية في أراضي الإيبو**"إذ أشار إلى أن أراضي الإيبو تعد من المناطق التي شهدت تدفق العديد من البعثات التبشيرية على فترات ليست بعيدة عن بعضها البعض، تمثل في مجملها غالبية المذاهب المسيحية، والسبب في ذلك قناعة كل مذهب من هذه المذاهب بضرورة نشر تعاليم المسيح وفق مذهبه هو، فهذه رسالة مكلف بها كل مسيحي يحيا في هذا الكون، ولذلك لم يقتصر التبشير على الغربيين فحسب، بل قام الكثير من المبشرين الأفارقة بهذه المهمة، خاصة بعد أن رحل العديد من المبشرين الغربيين عن إفريقيا بسبب عدم ملائمة الجو لهم ولكثرة الأمراض..إلخ، ومن أهم البعثات التبشيرية على أراضي الإيبو، نذكر:

1- بعثة جمعية الكنيسة التبشيرية:

وهي أول بعثة تبشيرية مسيحية تعمل في أراضي الإيبو، والتي بدأت عملها سنة 1857 ودامت مدة ثلاثين عاما، وكانت هذه الفترة بمثابة اختبار وتحد لإرساء هذا الدين الجديد في مقابل الدين التقليدي المنتشر في كل أراضي الإيبو.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

2- البعثة الكاثوليكية الرومانية:

البعثة الكاثوليكية الرومانية هي البعثة التي تلت جمعية الكنيسة التبشيرية في بلاد الإيبو. وكانت مدينة "أونتيشا" هي أول المناطق التي دخلت من خلالها هذه البعثة أراضي الإيبو سنة 1885. وأقامت هذه البعثة أول مراكز تبشيرية لها في مدينة "أونتيشا" شرق نهر النيجر ومنطقة "أسابا" غرب نهر النيجر. وإذا كانت هذه البعثة دخلت "أونتيشا" سنة 1885، فإنه لايوجد تاريخ محدد لعملية توسيع هذه البعثة وامتداد نشاطها في أماكن أخرى من أراضي الإيبو. وتنتمي هذه البعثة إلى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التي تخضع لسلطة البابا والكرادلة، حيث يعتبر البابا تلميذ السيد المسيح على الأرض وإرادته لا تناقش.

3- البعثة الميثودية:

وتنقسم البعثة الميثودية في أراضي الإيبو إلى بعثتين هما:

الميثودية الأولية، حيث دخلت أراضي الإيبو سنة 1910، وأقامت عدة كنائس تابعة لها مابين 1919 و 1925.

أما الميثودية الويزليانية، فيعد نشاط هذه البعثة في منطقة الإيبو حديث العهد إذا ما قورن بالمنطقة الجنوبية الغربية من نيجريا.

2 -بعثة المعمدانيين:

وهي فرقة بروتستانتية، ترى أن التعميد لا يجب أن يتم إلا بعد أن يبلغ المرء سنا يمكنه فهم معناه، وهو يقوم في الغالب على تطهير المرء بالماء وتسميته بأحد الأسماء المسيحية منذ طفولته كرمز لتطهيره من الخطيئة وإدخاله في كنف الكنيسة. وأول مكان استقرت فيه هذه البعثة لبدء عملها في أراضي الإيبو كانت في قرية "أهياجوا". ولقد عانت هذه الكنيسة في بادئ الأمر العديد من الصعاب والإضطهاد من قبل معتنقي الدين التقليدي في أراضي الإيبو، ومع ذلك زاد اتساع وامتداد نشاط هذه البعثة في كل أراضي الإيبو.

3- البعثة البرسبتريانية:

وهي بعثة تابعة للكنيسة البرسبتريانية، وهي من الكنائس التي تتبع المذهب البروتستانتي، وقد امتد نشاطها في أراضي الإيبو في مناطق أوهيفيا وأبيريبا وأروتشوكوا، وظل نشاط البعثة والكنائس التابعة لها قاصرا على تلك المناطق فقط في أراضي الإيبو لفترة طويلة.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ولقد تلى الفصول السابقة، **فصل سادس** بعنوان **"آليات نشر المسيحية في أراضي الإيبو"**، بحث فيه الكاتب الميكانزمات التي اعتمدتها البعثات التبشيرية في أراضي الإيبو، والمتمثلة في مجموعة من الأساليب والوسائل التنصيرية، الهادفة إلى نشر الدين الجديد وترسيخه في قلوب معتنقيه.فلقد اعتمدت البعثة الكاثوليكية الرومانية على سبيل المثال على أربع وسائل أساسية في نشر مبادئها داخل أراضي الإيبومنذ القرن 19 وتتمثل في ما يلي:الإعتماد على الدور النفسي القوي الذي يلعبه الإنجيل في التأثير على الآخرين؛ إتاحة فرص التعليم، وخاصة معرفة القراءة والكتابة؛تقديم الخدمات الطبية؛ فك أسر الرقيق وإعطائهم حقوقهم الاجتماعية.

كما درس المؤلف في **الفصل السابع"السمات المميزة لحركة التبشير الديني في أراضي الإيبو"**، ومن بين أهم العناصر التي تناولها في هذا الفصل، كيفية نشر المسيحية في أراضي الإيبو، إذ أشار إلى أن العمل التبشيري في أراضي الإيبو يمر بالعديد من المراحل، والتي من شأنها في النهاية تحقيق الغرض المراد بهاوهو تنصير كل من لايدين بالمسيحية، وجاءت هذه المراحل على النحو التالي:

1- العمل على خلق روابط حميمية بين المنَصِّر والأفراد المراد تنصيرهم. وتوجد وسيلتان تسيران جنبا إلى جنب في كثير من الأحيان لخلق هذه الروابط الحميمية هما: الإستمالة الوجداني والعطاء المادي.

2-تقديم الأساسيات العقائدية للديانة المسيحية.

3- التردد على الكنيسة.

4 -الإعتماد على الأبناء المحليين في نشر المسيحية لباقي أفراد مجتمعهم.

ثالثا: طبيعة التحول الديني في أراضي الإيبو

وفي الأخير خصص المؤلف فصلا كاملا **" طبيعة التحول الديني في أراضي الإيبو"**، وتوصل إلى عدة استنتاجات، نوجزها كما يلي:

-أن هناك تحول من الديانة التقليدية إلى الديانة المسيحية حدث في أراضي الإيبو، بدأ منذ دخول المسيحية لأراضي الإيبو من خلال البعثات التبشيرية، بل وفيما قبلها على يد التجار والرحالة الأوروبيين خاصة البرتغاليين، وذلك منذ إكتشاف السواحل الغربية لإفريقيا، وأستمر هذا التحول ووصل أقصاه في فترة الإستعمار، واستمر فيما بعد الإستعمار ومازال مستمرا حتى الآن وسيستمر في المستقبل طالما كان هناك دعاة لذلك.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

-إذا كان هذا التحول الديني في أراضي الإيبو يمثل أهمية خاصة في جوانبه الكمية، فالجوانب الكيفية هي الأكثر أهمية، وذلك لأنها هي الأقدر على تشكيل طبيعة وشكل هذا التحول.

-إن التحول الديني في أراضي الإيبو يتميز في كونه تحول توافقي مع العوامل التي طرأت على هذا المجتمع كالاستعمار البريطاني لأراضيه؛ فقبائل الإيبو توصف بأنها من الشعوب التي لديها القدرة على التكيف. ومن مظاهر هذا التكيف أن الإيبو أطلقوا على أبنائهم أسماء مسيحية ليتمكنوا من الالتحاق بالمدارس التابعة للبعثات التبشيرية، وبذلك أصبح للكثير منهم أسماء قبلية ينادي بها داخل القبيلة، وأسماء مسيحية ينادون بها في المدارس ...إلخ، علاوة على ذلك، فإن أفراد الإيبو اعتنقوا النصرانية دون أن يتخلوا عن جميع معتقداتهم الدينية التقليدية.

-أشار الباحث إلى أن نتائج دراسة أجريت عن المسيحية في أراضي الإيبو، عكست مدى السطحية في إعتناق المسيحية، فالفرد حينما يغير إسمه إلى أحد الأسماء الموجودة في الكتاب المقدس، لا يعني ذلك بالضرورة أنه تحول إلى المسيحية، وإنما للحصول على بعض الخدمات،أو الحماية ...إلخ، وقد لا يكون تحولا حقيقيا ناجما عن إعتناق لهذه الديانة الجديدة.

-إن التحول الديني لغالبية أفراد الإيبو لا يرتكز على فهم واضح وصحيح للطبيعة الإلهية، ولمفهوم الإله في المسيحية، وهذا يعد إستجابة طبيعية لعدم إتفاق المذاهب المسيحية ذاتها على طبيعة التجسيد الإلهي، حسب رأي الكاتب.

خاتمة

لا شك **أن** هذه الدراسة تقع في صلب تخصص أساسي من تخصصات الأنثروبولوجيا العامة، ألا وهو: "الأنثروبولوجيا الدينية"، التي تسعى إلى تعريف معنى الدين، والكشف عن العلاقة التي تربطه بمختلف النظم والمؤسسات الاجتماعية، ومقارنة المعتقدات الدينية لدى الشعوب عبر الزمان والمكان.

ولا تكمن أهمية دراسة محمد عبد الوهاب عبد الولي في كونها دراسة قام بها باحث عربي في الحيز الجغرافي الإفريقي فحسب، بل تعد من الدراسات القليلة التي تناولت ظاهرة التحول الديني بصورة عامة، وفي منطقة إفريقيا جنوب الصحراء بصورة خاصة.

وبالرغم من أن هذه الدراسة تميزت بأنها تنتمي إلى نطاق "الأنثروبولوجيا عن بعد"، أي أن الباحث لم يقم بإنجاز بحثه من خلال المعايشة الميدانية، التي تتطلب الإقامة داخل المجتمع المبحوث مدة زمنية

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

كافية، إلا أنها استطاعت أن تُعَرِّف بقبائل الإيبو وديانتهم التقليدية الوثنية، التي تتضمن خاصة الإله الأعلى شوكوا، وبعض الآلهة الطبيعية، والأرواح، وعبادة الأسلاف؛ كما استطاعت إبراز ظاهرة التبشير الديني الأوروبي المسيحي في أراضي الإيبو والصعوبات التي اعترضت سبيلها، كما ألمت بطبيعة التحول الديني من الدين التقليدي الوثني إلى المسيحية، الذي لم يكن كاملا—حسب الدارس- بسبب مقاومة الثقافة الدينية لدى هذه القبائل، مما أدى إلى عدم رسوخ تعاليم الدين الجديد في أذهان وقلوب الكثير من الأفراد المتحولين.

قائمة المراجع:

1-أحمد، علاء جبار. (د.ت). نيجريا بعد تحدي طالبان ودوامة العنف الطائفي، دراسات دولية، العدد الثامنون.

2-بلحاج، منير. (2012). الحق في حرية المعتقد وممارسة الشعائر الدينية، رسالة ماجستير، جامعة وهران.

3-جرموني، رشيد (2019)، الدين والإعلام في سوسيولوجيا التحولات الدينية، سلسلة كتاب الفيصل العدد 28، المملكة العربية السعودية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

4-ديشان، هوبير. (2011). تر:أحمد صادق حمدى، الديانات في إفريقيا السوداء، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

5-زواوي،نعيمة. (2014). الصراعات الاثنية والدينية في افريقية، دراسة حالة نيجريا، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة الجزائر3.

6-عبد الوالي،محمد عبد الوهاب. (2016). التحول الديني عند قبائل الإيبو بنيجيريا: دراسة أنثروبولوجية، مصر، أسرار الإسبوع.

7-العبودي، محمد بن ناصر. (1995). قصة سفر في نيجيريا، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.